وَمَـا حَـمِـدْتُـكَ فـي هَـوْلٍ ثَـبَـتَّ لَـهُ
حَـتَّـى بَـلَـوْتُـكَ والأَبْـطَـالُ تَـمْـتَـصِـعُ[١]
فَـقَـدْ يُـظَـنُّ شُـجَـاعـاً مَـنْ بِـهِ خَـرَقٌ
وَقَـدْ يُـظَـنُّ جَـبَـانـاً مَـنْ بِـهِ زَمَـعُ[٢]
إنَّ الـسِّـلَاحَ جَـمِـيـعُ الـنَّـاسِ تَـحْـمِـلُـه
وَلَـيْـسَ كُـلُّ ذَوَاتِ الـمِـخْـلَـبِ الـسَّـبُـعُ[٣]

قبحاً لوجهك يا زمان

توفي أبو شجاع فاتك بمصر سنة خمسين وثلاث مئة (٩٦١م) فقال يرثيه بعد خروجه منها:

[الكامل]

أَلْـحُـزْنُ يُـقْـلِـقُ وَالـتَّـجَـمُّـلُ يَـرْدَعُ
وَالـدَّمْـعُ بَـيْـنَـهُـمَـا عَـصِـيٌّ طَـيِّـعُ[٤]
يَـتَـنَـازَعَـانِ دُمُـوعَ عَـيْـنٍ مُـسَـهَّـدٍ
هٰـذَا يَـجِـيءُ بِـهَـا وَهٰـذَا يَـرْجِـعُ[٥]

---

(١) ورد البيت التالي في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٨. بلوتك: اختبرتك. تمتصع: تهرب. يُنوّه الشاعر بأنه مدح سيف الدولة بعدما اختبره، لذا فمدحه صادق لأنه يتمثل بنموذج حيّ بطل يلتقي الأبطال ويصرعهم إذا ما اشتدّ الهول؛ فمنهم من يلقى مصيره البئيس ومنهم من يفرّ جبناً.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٩. الخرق: الخفّة والطيش. الزمع: الخوف الشديد. للوهلة الأولى قد يحكم المرء على المتهوّر أنه شجاع، وهو ليس في الحقيقة كذلك، بل قد يكون جباناً، وهذا حكم في غير محلّه، بينما قد يُحكم على من ثار غضباً بأنه جبان وهو ليس في الحقيقة كذلك، بل قد يكون شجاعاً جلداً في القتال.

(٣) المخلب: للوحش من السباع والطيور. يُعقّب الشاعر على رأيه بأن كلّ من حمل سلاحاً لا يُعتبر بطلاً وشجاعاً، وكذلك فليس كلّ من كان ذا مخلب من وحوش الطيور والحيوانات قادراً على افتراس صيده وفرائسه.

(٤) و (٥) يعبر الشاعر عن شدّة تأثره لمهلك أبي شجاع فاتك، إنه قلق لما أصاب ذلك =

أَلنَّوْمُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرٌ
وَاللَّيْلُ مُعْيٍ وَالْكَوَاكِبُ ظُلَّعُ[١]
إِنِّي لَأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي
وَتُحِسُّ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَشْجُعُ[٢]
وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الأَعَادِيَ قَسْوَةً
وَيُلِمُّ بِي عَتْبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ[٣]
تَصْفُو الْحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ
عَمَّا مَضَى فِيهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ[٤]

= الفتى، فالبكاء طبّع ويكاد ينهمر، ولكنّ صبره يردّه، فالبكاء لغة الضعفاء، والتأسي طبيعة الأقوياء، أصحاب الإرادات القويّة. وثمة منازعة بينهما، فالدموع تغالب عيني الشاعر الذي لا يعرف للنوم طعماً، وكلا الحزن والبكاء يتنازعان الشاعر، فتارة الغلبة للحزن وطوراً الغلبة للدموع.

(١) وردت الأبيات السبعة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٧. ظلّع: عرجى. يصف الشاعر معاناته، فالنوم عاصٍ، والعينان لا تعرفان إغماضة النوم، ويطول الليل وليل الحزانى طويل يلفّه الهمّ برداء الحزن، فكأن الكواكب سمّرت في كبد السماء حتى لتبدو بطيئة لما هي عليه من ظلع.

(٢) الحِمام، بكسر الحاء: الموت. يرى الشاعر نفسه في حالة الموت، إنه جبان خائف رعديد، وذلك في الموت المفاجئ على الفراش، ولكنه يحبّ موت الأبطال الشجعان الذين يقضون في ساحات النضال النبيل. ولا ريب بأن الموت محزن يفرّق بين الأحبّة والأصدقاء.

(٣) يحمل الشاعر في قلبه مشاعر متباينة متناقضة؛ فيملأ قلبه حبّ صادق لا شائبة فيه لمن أحبّ وأخلص الودّ، فهو يلين ويرقّ شعوره ويرفّ، بينما تبدو مشاعره نحوه أعدائه قاسية صلبة تدميرية لا تحيد إلى الملاينة والمهادنة.

(٤) ورد البيت في: المحتسب، لابن جني ١: ١٤١/ ٢: ١٣٠. يرى الشاعر أن الحياة عجيبة غريبة، فالجاهل تأتيه كما يشتهي حلوة المذاق، لا تعب فيها، كل شيء يرد حسب هواه هيناً ليّناً، فلا يُفكر في ما مضى من حياته ولا حتى في ما سيأتي، أمّا الفطن فإنه يُعاني من المشاكل ما لا يُحصى عدداً، وهو لا يني يفكر في كل شاردة =

ولِـمَـنْ يُـغَـالِـطُ فـي الْـحَـقَـائِـقِ نَـفْـسَـهُ
وَيَـسُـومُـهَـا طَـلَـبَ الـمُـحَـالِ فَـتَـطْـمَـعُ[١]
أيْـنَ الَّـذِي الـهَـرَمَـانِ مِـنْ بُـنْـيَـانِـهِ
مَـا قَـوْمُـهُ مَـا يَـوْمُـهُ مَـا الـمَـصْـرَعُ[٢]
تَـتَـخَـلَّـفُ الآثَـارُ عَـنْ أَصْـحـابِـهَـا
حِـيـنـاً ويُـدْرِكُـهـا الْـفَـنَـاءُ فَـتَـتْـبَـعُ[٣]
لَـمْ يُـرْضِ قَـلْـبَ أبـي شُـجَـاعٍ مَـبْـلَـغٌ
قَـبْـلَ الـمَـمَـاتِ وَلَـمْ يَـسَـعْـهُ مَـوْضِـعُ[٤]
كُـنَّـا نَـظُـنُّ دِيَـارَهُ مَـمْـلُـوءَةً
ذَهَـبـاً فـمَـاتَ وكُـلُّ دَارٍ بَـلْـقَـعُ[٥]

= وواردة في ما مضى وما قد يحدث فالخوف يشلّ حركته والتشاؤم يسيطر على تصرّفاته في كلّ وقت.

(١) ووقفة تأمل متّئدة تُبيح للإنسان أن يرى حقيقة عارية لا دخل فيها ولا التباس، إنها دار غرور تفتح للمرء أبواباً من الفكر في معنى وجوده، وتدفعه بإلحاح ليجري وراء حلم يدغدغ مشاعره، وفجأة وبلا موعد يُدركه الموت وهو في غمرة نضاله، فإذا بكل شيء ينفخ فيه ريح الموت فيبدو كضباب لاح وسرعان ما اختفى.

(٢) و (٣) ينجرف الشاعر في تأملاته الحزينة المتشائمة، فيتساءل عن حقيقة الخلود في عالم يُغلّفه الموت والفناء، ها هما الهرمان يقفان في وجه العدم والموت ولكن بلا شكّ إلى حين وبعد ذلك هما إلى دمار تماماً كمن ابتناهما، فقد رحل ولم يبق لهما أو يبقيا له، وهنا يطرح سؤالاً يطرأ على كلّ بال: من هم هؤلاء العظماء الذين نهضوا بهذا الصرح العظيم؟ وكيف كانت أيامهم هل نعموا بالسعادة والغنى وتحقيق آمالهم وأحلامهم؟ ثم كيف انتهى أمرهم؟ وكيف دالت دولتهم؟ تلك الأسئلة يطرحها المرء على نفسه. فحتى لو استطاع الإجابة عن تلك الأسئلة لجدّت أسئلة على هذه الأسئلة. ومهما طال بقاء تلك الآثار العظيمة فإن لن تتخلّف عن ركب الفناء، فأعمارها تنقضي بانتهاء آجالها.

(٤) و (٥) يصف الشاعر بعد همّة أبي شجاع، إنه فتّى سما بفعله إلى أعلى درجات المجد، ورغم ذلك لم يكفّ عن النضال بل إنه كان يسعى لتحقيق المزيد من =

وإذَا الـمَـكَـارِمُ والـصَّـوَارِمُ والْـقَـنَـا
وبَـنَـاتُ أَعْـوَجَ كـلُّ شَـيْءٍ يَـجْـمَـعُ[١]
أَلْـمَـجْـدُ أَخْـسَـرُ والـمَـكَـارِمُ صَـفْـقَـةً
مِـنْ أَنْ يَـعِـيـشَ لَـهَـا الْـكَـرِيـمُ الأَرْوَعُ[٢]
والـنَّـاسُ أَنْـزَلُ فـي زَمـانِـكَ مَـنْـزِلاً
مِـنْ أَنْ تُـعَـايِـشَـهُـمْ وقَـدْرُكَ أَرْفَـعُ[٣]
بَـرِّدْ حَـشَـايَ إِنِ ٱسْـتَـطَـعْـتَ بِـلَـفْـظَـةٍ
فَـلَـقَـدْ تَـضُـرُّ إِذا تَـشَـاءُ وتَـنْـفَـعُ[٤]
مـا كَـانَ مِـنْـكَ إِلَـى خَـلِـيـلٍ قَـبْـلَـهَـا
مـا يُـسْـتَـرَابُ بِـهِ ولا مَـا يُـوجِـعُ[٥]

= النجاحات، فإذا بالكون لا يسع مبتغاه، ولفتة سريعة إلى ما آل إليه أمره لقد رحل عن هذا الوجود ولم يبق في داره ما يسدّ الرمق فقد وزّع ما حصّله من أموال طائلة من الذهب والكنوز فإذا بداره خاوية بلقع لا مال فكلّ ما كان فيها كأنه هباء منثور.

(١) و (٢) يُتابع الشاعر حديثه عمَّا خلّفه أبو شجاع بعد أن أنفق ذهبه وفرّقه، فإذا به يحتفظ بما يُساعده على تحصيل الغنى ويُوافق طبيعته وشجاعته وبطولته، منها فضائل أخلاقية عالية راقية، وسيوف بتّارة يُقاتل بها ورماح يستعملها في حروبه، وكرام الخيول المنسوبة إلى أعوج، أفضل الجياد العربية، إنه جمع يوافق طبيعته البطولية. ولهذا فقد خسر المجد بطلاً من العيار الثقيل قلّ وجوده في الأزمات، إنها تجارة خاسرة بكلّ المقاييس، فجامع تلك الصفات في ذاته افتقدته وافتقدت قلبه الكبير الذي وسع صفات قلّ نظيرها، إنه ذكي الفؤاد.

(٣) و (٤) يُخاطب الشاعر المرثي، وهو في العالم الآخر، مبيّناً منزلته في معاصريه، إنهم دونه منزلة، وقد يحسدونه على مكانته، لذا فهو أرفع من أن ينزل إلى مستواهم ويحطّ من قدره في حال معايشته لهم، وإن حصل ذلك فمن باب التواضع وحبّ الخير للآخرين. وهو يطلب منه أن يردّ عليه ليبرد غليله ويهدأ ما في نفسه من لوعة وحزن، ولطالما أضرّ أعداءه بسيفه وأصدقاءه بماله وجاهه.

(٥) الخليل: الصاحب والصديق. استراب: جاء من الأعمال بما يُريب. يمدح الشاعر أبا شجاع، فقد كان نعم الصاحب المخلص الذي يُحسن معاملة أصحابه بصدق دون أي خداع أو غش؛ وهذا ممَّا زاد في فجيعة أحبائه فإذا بهم يبكون فيه صفاته الجميلة المحمودة.

ولـــقَـــدْ أَرَاكَ ومَـــا تُـــلِـــمُّ مُـــلِـــمَّـــةٌ
إِلَّا نَـفَـاهَـا عَـنْـكَ قَـلْـبٌ أَصْـمَـعُ[١]
ويَـــدٌ كـــأَنّ قِـــتَـــالَـــهَـــا وَنَـــوَالَـــهَـــا
فَـرْضٌ يَـحِـقُّ عَـلَـيْـكَ وهْـوَ تَـبَـرّعُ[٢]
يـــا مَـــنْ يُـــبَـــدِّلُ كُـــلَّ يَـــوْمٍ حُـــلَّـــةً
أَنَّـــى رَضِـــيـــتَ بِـــحُـــلَّـــةٍ لَا تُـــنْـــزَعُ[٣]
مـا زِلْـتَ تَـخْـلَـعُـهَـا عـلـى مَـنْ شَـاءَهَـا
حَـتَّـى لَـبِـسْـتَ الْـيَـوْمَ مَـا لَا تَـخْـلَـعُ[٤]
مَـــا زِلْـــتَ تَـــدْفَـــعُ كُـــلَّ أَمْـــرٍ فَـــادِحٍ
حَـــتَّـــى أَتَـــى ٱلْأَمْـــرُ الَّـــذِي لَا يُـــدْفَـــعُ[٥]
فَـظَـلِـلْـتَ تَـنْـظُـرُ لَا رِمَـاحُـكَ شُـرَّعٌ
فِـي مَـا عَـرَاكَ وَلا سُـيُـوفُـكَ قُـطَّـعُ[٦]

---

(١) الملمة: المصيبة. الأصمع: الذكي اللبيب الفطن. يُخاطب الشاعر أبا شجاع، فقد عرف فيه أثناء حياته أنه كان يتصدّى للمشاكل فيعتصرها بعقل متفتح بصير بالأمور ويدفعها عن نفسه ببصيرة واعية، ولكن الموت غلبه على أمره، فانتهى كلّ شيء.

(٢) ومن جميل أفعال أبي شجاع أنه كان كريماً معطاءً لأصحابه وأحبائه، ومقاتلاً شجاعاً لأعدائه، وهو يُزاول ما يراه كأنه واجب عليه، وهو في الحقيقة يتبرّع بفعله بمحبّة لا يبغي من ورائها شيئاً، لا مدحاً ولا ثناءً.

(٣) و (٤) يُخاطب الشاعر أبا شجاع، فقد كان مترفاً كريماً، فهو يخلع عنه ثيابه ليجود بها على زائريه وأحبائه؛ وذلك ديدنه في حياته، أمّا الآن فقد لبس رداءً أبدياً لن ينزعه عنه، فالأمر ليس بيده كما كان شأنه في حياته.

(٥) و (٦) الفداح: المكلف. لقد كانت عادة أبي شجاع في حياته أن يُبعد نفسه عن كلّ ما هو مكلف بما يستطيع به دفعه، ولكن الأمر المفاجئ لا يُمكن تلافيه ودفعه بأية وسيلة ممكنة؛ إنه الموت، ولا مفرّ منه. فكان استسلام كليّ حيث لا ينفع استعمال السلاح، مهما كان نوعه، فالأمر لا يتعلّق بصراع البشر في ما بينهم، فسيوفه لا تقدر على قضاء إلهيّ.

بِـأَبِـي الْـوَحِـيـدُ وَجَـيْـشُـهُ مُـتَـكَـاثِـرٌ
يَـبْـكِـي وَمِـنْ شَـرِّ الـسِّـلَاحِ الْأَدْمُـعُ[١]
وَإِذَا حَـصَـلْـتَ مِـنَ الـسِّـلَاحِ عَـلـى الْـبُـكَـا
فَـحَـشَـاكَ رُعْـتَ بِـهِ وَخَـدَّكَ تَـقْـرَعُ[٢]
وَصَـلَـتْ إِلَـيْـكَ يَـدٌ سَـوَاءٌ عِـنْـدَهَـا الْـ
ـبَـازِي الْأُشَـيْـهِـبُ وَالْـغُـرَابُ الأَبْـقَـعُ[٣]
مَـنْ لِـلْـمَـحَـافِـلِ وَالْـجَـحَـافِـلِ والـسُّـرَى
فَـقَـدَتْ بِـفَـقْـدِكَ نَـيِّـراً لا يَـطْـلُـعُ[٤]
وَمَـنِ اتَّـخَـذْتَ عـلـى الـضُّـيُـوفِ خَـلِـيـفَـةً
ضَـاعُـوا وَمِـثْـلُـكَ لا يَـكَـادُ يُـضَـيِّـعُ[٥]

---

(١) لو استطاع الشاعر أن يفدي أبا شجاع بنفسه لفعل، ورغم كثرة جيوشه وأصحابه فإنهم لم يُفلحوا بردّ الموت عنه، فإذا بهم يبكونه بكّاءً مرًّا، إنه شرّ البكاء بكاء الوداع الذي لا رجعة فيه.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٧. رعت: أخفت. تقرع: تضرب. يُتابع الشاعر فكرته بأن لطم الخدود والفزع والبكاء بئس السلاح، إنه سلاح لا يُجدي نفعاً ولا غناء فيه، وهذا ما يزيد القلوب حُزناً وألماً ولا يدفع همًّا.

(٣) الأشيهب: تصغير الأشهب: هو من غلب عليه البَياض. الأبقع: من فيه بياض وسواد. يُخاطب الشاعر أبا شجاع، لقد حلّت به يد الموت الذي لا يُفرّق بين سائر البشر كلّهم إلى نهاية واحدة؛ فالموت لا يميّز بين الشريف والوضيع ولا بين الأبيض والأسود ولا بين السيد والمسود، فكلهم يسوقهم بعصاه، ولا اعتراض على ما يفعل.

(٤) و (٥) المحافل، الواحد محفل: المجامع الجحافل، الواحد جحفل: الجيوش. السرى: المشي في الليل، يقصد بذلك الإغارة على الأعداء ليلاً. النير: القمر. يتساءل الشاعر من يُمكنه أن يحلّ محلّ أبي شجاع، فقد افتقدت الجحافل والمحافل حيث يجتمع القوم ويستمعون إلى خطيب مفوّه والسرى افتقد إلى من يُؤنس الليل بتحرك جنوده في هدأته، والقمر بدون قائد ما غاب بجماله وروعته وقد اختفى باختفاء أبي العشائر، فالليل يبدو مظلماً كئيباً حزيناً. فحتى الضيوف قد افتقدوا من يقوم بضيافتهم فيخدمهم ويُسرّي عنهم غربتهم ويلاطفهم كما كان يفعل من لا يُضيّع =

قُبْحًا لِوَجْهِكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّهُ
وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بُرْقُعُ[١]
أَيَمُوتُ مِثْلُ أَبِي شُجَاعٍ فَاتِكٌ
وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخَصِيُّ الأَوْكَعُ[٢]
أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالَيْ رَأْسِهِ
وَقَفاً يَصِيحُ بِهَا أَلَا مَنْ يَصْفَعُ[٣]
أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبٍ أَبْقَيْتَهُ
وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ[٤]
وَتَرَكْتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ
وسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ[٥]

= لندرة أمثاله، ومهما يكن الخليفة على كرم وخلق فلن يكون بكفاءة أبي العشائر، أو مثيلاً له.

(١) يصب الشاعر جام غضبه على الزمان، فالقبح يكلّله، ووجهه بشع تشوهه القبائح لقبح أفعاله، فإذا به وجه تُغطيه ألوان كالحة من براقع كثيرة الألوان بحيث لا يُعرف لونه الحقيقي لكثرة زيفه وتلوّنه.

(٢) يستغرب الشاعر أن يموت رجل اكتملت لديه عناصر السيادة والبطولة والكرم، ويحيا في نفس الوقت إنسان حقير حاسد خصيّ يفتقد إلى معالم الرجولة في الشكل والمضمون، ومن طبعه اللؤم، إنه بلا شكّ كافور الذي أدمى قلب الشاعر بمماطلته ودوام كذبه.

(٣) إنها فرصة مؤاتية للشاعر ليهجو كافوراً ويُندّد به، فلقد تقطّعت أيدي حاشيته لجبنهم وقبولهم بأن يحكمهم من هو دونهم مكانة وبشريّة، ورغم ذلك فهناك إلحاح من كافور يصيح بهم ألا من يصفع لأنه اعتاد الصفح فلا يستطيع العيش إلّا بالصفع، وهذا ما يحلو له.

(٤) و (٥) يُخاطب الشاعر الموت ماذا فعلت؟ لقد أبقى أكذب الناس على قيد الحياة واستحوذ على صادق إذا وعد برّ بوعده، وإذا سمع مقالة أو رجاء هبّ لتنفيذ مقالة صديق حميم دون تردّد أو تذمّر، وفي المقابل فقد ترك الموت رائحة مكروهة تزكم الأنوف بفساد عبقها وسلب البشرية عبقاً طيّب النشر في أرجاء الكون تتضوّع رائحته وتترك أثراً مريحاً في النفوس.

فَـالْـيَـوْمَ قَـرَّ لِـكُـلِّ وَحْـشٍ نَـافِـرٍ
دَمُـهُ وَكَـانَ كَـأَنَّـهُ يَـتَـطَـلَّـعُ[١]
وَتَـصَـالَـحَـتْ ثَـمَـرُ الـسِّـيَـاطِ وَخَـيْـلُـهُ
وَأَوَتْ إِلَـيْـهَـا سُـوقُـهَـا وَالأَذْرُعُ[٢]
وَعَـفَـا الـطِّـرَادُ فَـلَا سِـنَـانٌ رَاعِـفٌ
فَـوْقَ الـقَـنَـاةِ ولا حُـسَـامٌ يَـلْـمَـعُ[٣]
وَلَّـى وَكُـلُّ مُـخَـالِـمٍ وَمُـنَـادِمٍ
بَـعْـدَ الـلُّـزُومِ مُـشَـيِّـعٌ وَمُـوَدِّعُ[٤]
مَـنْ كَـانَ فِـيـهِ لِـكُـلِّ قَـوْمٍ مَـلْـجَـأٌ
وَلِـسَـيْـفِـهِ فِـي كُـلِّ قَـوْمٍ مَـرْتَـعُ[٥]

---

(١) لقد تغيّرت المقاييس بوفاة أبي العشائر، فإذا بالوحوش التي كانت أفضل طرائده، يُطاردها في كلّ وعر ومفازة، تسرح مطمئنة وقد حُجبت دماؤها، وقد كانت في ما مضى تتوقّع أن يُفاجئها، فيكون هلاكها على يديه.

(٢) السياط، الواحد سوط: المقارع، والواحدة مقرعة. ثمر السياط: العقد في أطرافها. أوت: عادت، رجعت. لقد كان موت أبي شجاع فرصة استردت خيله قوائمها، فقد كان يُلهبها ضرباً بالسياط لتسرع أكثر فأكثر؛ إنه على عجلة من أمره، فثمّة مستغيث يستنجده أو غزوة تنتظره، أو صيد يسعى للإيقاع، أما الآن فقد استعادت خيوله قوائمها واستراحت في مرابضها على مألوفها.

(٣) عفا: اندرس وانمحى، الراعف: النازف دماً. القناة: الرمح. الحسام: السيف البتّار. ولّى كلّ شيء، وخلا الميدان من فارسه، فلا سنان يُمزّق أحشاء بطل وقد استردّه أبو شجاع راعفاً، حتى السيف ما عاد يُواجه قرن الشمس فيشعّ على يديه إشعاع الموت.

(٤) المخالم: الصديق. المنادم: النديم. مشيّع: مودّع. لقد انتهى كلّ شيء، فحلقات السمر، والأحاديث العذاب بين الأحباب خبت صوتها والندماء انفكّ عقدهم وتفرّق شملهم، ومن ميزات أبي شجاع لباقة وذوق رفيع فقد كان يصحب منادميه ويُشيعهم بترحاب وابتسام.

(٥) المرتع: المرعى، ولّى الحصن الحصين لأصدقائه وأحبائه، فقد كانوا يلجأون إليه في =

إِنْ حَـلَّ فـي فُـرْسٍ فَـفِـيـهَـا رَبُّـهَـا
كِـسْـرَى تَـذِلُّ لـهُ الـرِّقَـابُ وَتَـخْـضَـعُ[١]
أَوْ حَـلَّ فـي رُوم فـفـيـهَـا قَـيْـصَـرٌ
أَوْ حَـلَّ فـي عُـرْبٍ فـفِـيـهَـا تُـبَّـعُ[٢]
قَـدْ كَـانَ أَسْـرَعَ فـارِسٍ فـي طَـعْـنَـةٍ
فَـرَسـاً وَلـكِـنَّ الـمَـنِـيَّـةَ أَسْـرَعُ[٣]
لا قَـلَّـبَـتْ أَيْـدِي الْـفَـوَارِسِ بَـعْـدَهُ
رُمْـحـاً وَلا حَـمَـلَـتْ جَـوَاداً أَرْبَـعُ[٤]

= كلّ صغيرة وكبيرة، فضلاً عن ضعفاء العامة من الناس، فقد كان لهم نعم المسعف؛ بينما كان لأعدائه عظيم الحظر، ولسيفه في أعناقهم حظّ.

(١) و (٢) يمدح الشاعر أبا شجاع؛ إنه حيثما يحلّ فهو ملك، لجلال الملك ومهابته ممَّا يحمل الناس على الانقياد له طائعين، فلو حلّ في بلاد الفرس كان ككسرى فيهم، ولو حلّ في بلاد الروم كان كالقيصر فيهم، ولو نزل بلاد العرب كان تُبّعاً فيهم.

(٣) المنية: الموت. ومن سمات أبي شجاع المميّزة أنه أسرع الفرسان وأقواهم في الطعن، فلا مثيل له بينهم، ولكن النضال مع الموت خسارة محتّمة لأنه الأسرع في كلّ ميدان.

(٤) يدعو الشاعر آسفاً ومتمنّياً ألّا يحمل الفرسان بعد أبي شجاع رماحاً يُقاتلون بها، فلن يخلق اللّه تعالى مثله، ولن يُوجد فارس يعتلي جواداً رامحاً بقدره.